مجلـــة كليـــة التربيـــة طرابلـــس

Journal of the Faculty of Education Tripoli

ملامح التأويل الأدبي لذى د. نور الدين عتر في الحديث النبوي (حديث الغيث أنموذجا)

حسن الصادق أحمد

كلية التربية، جامعة صبراته، صبراته، ليبيا.

البريد الإلكتروني: hsnalsadk99@yahoo.com

Article history

Received: Oct 14, 2023 Accepted: Dec 9, 2023

الملخص:

إن كلام النبي الكريم ﷺ امتلك القيم الأدبية البليغة، الذي يفوق في بلاغته وفصاحته وغناه بالإبداع الفني أي نص نثري أو شعري، فهذا البحث يقف على أبرز دراسة حديثة ذات طابع أدبي معاصر، وهي للدكتور نور الدين عتر من خلال كتابه **((في ظلال الحديث النبوي))**، الذي يُعتبر من أسبق المؤلفات الحديثة في التعرف على ملامح التأويلات الفنية أو الأدبية في النص النبوي ،وقد سلّط هذا البحث الضوء حول أحد هذه الأحاديث التي قام د.عتر بدراستها من خلال ما أظهره فيه من تأويلات حول المحتوى الفكري، والجمال البنائي والبُنْية الجمالية ، و الجمال التصويري، والسمات البيانية العامة لحديث الغيث، مع ما يتقدم من تمهيد لترجمة المؤلف ، وبيان معرفة مفهوم التأويل الأدبي ،وأهمية دراسة دلالة التأويل الأدبي لدى عتر في الحديث النبوي ثم تُوجت هذه الدراسة بأهم النتائج في الخاتمة.

الكلمات المفتاحية: التأويل، الغيث، الماء، أجادب، قيعان، الهدى، العلم.

A B S T R A C T:

The words of the Noble Prophet, peace be upon him, possess the highest literary values, surpassing in eloquence, clarity, and artistic creativity any prose or poetic text. This research sheds light on the most prominent recent study of a contemporary literary, which is by Dr. Nour Al-Din Atar through his book ((In the Shadows of the Prophet's Hadith)), which is considered one of the first modern works in identifying the features of artistic or literary interpretations in the prophetic text. This research sheds light on one of these hadiths that Dr. Ater studied, through the interpretations he presented regarding the intellectual content, structural beauty, aesthetic structure, visual beauty, and general linguistic features of the hadith of the rain. It also includes an introduction about the author, an explanation of the concept of literary interpretation, and the importance of studying the significance of literary interpretation in Ater's approach to the prophetic hadith. The study concludes with the most significant results.

Keywords:

المقدمة:

- **أهمية الموضوع**

إن الحديث النبوي الذي هو المصدر الثاني التشريعي للأحكام، فلم يخل من معان ذات دلالات بليغة وأساليب موسومة بالطابع الإعجازي كما في القرآن، وبذلك فقد أثرى اللغة العربية بمحيط أدبي عديد الأصناف من تمثيلات بارعة، وحكم عالية، وأمثال رائعة، ووصايا نافعة واشتمل أيضا على معاني التوجيه والإرشاد والتشريع والتربية، فكان المادة الغزيرة للَغة والأمثلة الرفيعة للأدب، والثروة القيمة للأخلاق، ومن هنا نرى أن كلام النبي الكريم صلى الله عليه وسلم امتلك القيم الأدبية البليغة، الذي يفوق في بلاغته وفصاحته وغناه بالإبداع الفني أي نص نثري أو شعري، مما استرعى انتباه العلماء والمثقفين إلى تلق هذه الأساليب من على مائدة الحديث النبوي الشريف الذي امتلك بأدبيته النصية الموسومة بالجمال الإبداعي أفخم العبارة، وأسلس البيان وأعذب الاستماع.

وظاهرة التأويل في هذا الجانب ترتبط بالدلالة الأسلوبية، وتجعلنا نقف على أسرار البنية اللغوية والبيانية لهذا البيان الفذّ ،الذي أجراه الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ،وفجره حكمة من ينبوع قلبه إلى الغاية المقصودة من الأساليب اللغوية، حيث يقول الجاحظ رائد البلاغة العربية: "وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه وجلّ عن الصنعة ونزّه عن التكلف... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمته، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أصدق لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه، صلى الله عليه وسلم، كثيرا[1]."، ومن هنا فالتأويل من الناحية اللغوية ظاهرة لها أهميّتها في تاريخ الفكر الإنساني بصفة عامة، وفي تاريخ الفكر الديني بصفة خاصة، وذلك منذ أن حاول الناس فهمَ النصوص الدينية في الكتب السماوية، وقد كان لظاهرة التأويل ومازال خصوصية في تاريخ الفكر الإسلامي.

- **سبب الاختيار:**

حداثة هذا النوع من دراسة النص النبوي، وقلّة الباحثين فيه لهو دافع لسبب الاختيار، وبالأخص ما قام به الدكتور نور الدين عتر – الذي كان استاذي ومتأثرا بأسلوبه العلمي – فكان سبّاقا في هذا المضمار بوضع تأليف يعتبر حجر الأساس، وأول دراسة للحديث النبوي من الجانب الأدبي المعاصر ، إلى جانب شرح معاني الحديث ،ودراسة الجانب الفكري والاجتماعي مما جعل هذه الدراسة شعاعا منيرًا وسبيلًا ميسرًا ولبنةً في صرح الأدب البنّاء دفع بالباحث اختيارها في مثل هذه الدراسة.

- **أهم الدراسات السابقة:**

ومن أجلّ الدراسات الأدبية المعاصرة بخصوص أدب البيان النبوي ما ألفه الدكتور نور الدين عتر من خلال كتابه **((في ظلال الحديث النبوي))** فقد جاء هذا المؤلف على فترة من التآليف في هذا الموضوع حيث يقول :" فقد عني دارسو الحديث . قديما وحديثا – في شروحهم بشرح معاني الحديث وبيان ما يستنبط منه من الفوائد العلمية والأحكام العملية ..... لكنا لا نجد دراسة مفردة تُعنى من الزاوية البلاغية – والأدبية – إلا القليل مثل **((المجازات النبوية))** للشريف الرضا من القدماء، وكتاب **((الحديث النبوي من الوجهة البلاغية))** للدكتور عز الدين علي السيد من المعاصرين الذي جاء كأنه تطبيق لقواعد البلاغة ".[2]

- **أهداف الدراسة**

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين: تحقيق فوزي عطوي. بيروت: دار صعب، 221/2.

[2] – د.عتر في ظلال الحديث النبوي، منشورات جامعة دمشق،ط 2، 2000م. ص7

ومن هنا جاءت هذه الدراسة تهدف للآتي:

1. الكشف عن التأويلات الفنية التي تكشف عن الذوق الجمالي في الخطاب النبوي.
2. التعرف على القيم الفكرية والفنون الأدبية للحديث النبوي وما يحمله من إعجاز في هذا الطابع.
3. الوقوف على أبرز دراسة حديثة ذات طابع أدبي كما للدكتور عتر ، وهي جديرة بأن تدرس؛ لحداثتها لاسيما في تأليف سابق في عصره كما في **((ظلال الحديث النبوي))** الذي فتح المضمار بالتعرف على ملامح التأويلات الفنية أو الأدبية في النص النبوي.

- **اشكالية البحث:**

ما أبرز ملامح التأويل من الجانب اللغوي أو الأدبي فيما امتازت به دراسة د. نور الدين عتر من الكشف عن وسائل وطرق في التجديد البياني للحديث النبوي .

- **المنهج المتبع :**

قدت اعتمد في البحث المنهج الوصفي التحليلي.

- **خطة البحث:**

وتتكون من محورين أساسيين وهما:

المحور الأول : الترجمة ، ومفهوم التأويل الأدبي للنص، وأهميته في الحديث النبوي.

وفيه ثلاث مطالب :

المطلب الأول: ترجمة د. نور الدين عتر.

المطلب الثاني: التعريف بالتأويل الأدبي للنص.

المطلب الثاني: أهميته لدى د. نور الدين عتر.

المحور الثاني: تطبيقاته حول حديث (الغيث)، ويحتوي على ثلاثة مطالب ،وهي:

المطلب الأول: المحتوى الفكري حول تأويله لمفهوم الغيث.

المطلب الثاني : الجمال البنائي للحديث عند د .عتر.

المطلب الثالث :الجمال التصويري للنص ، والسمات البيانية له عند عتر.

الخاتمة .

المحور الأول : الترجمة ، ومفهوم التأويل الأدبي للنص، وأهميته في الحديث النبوي.

المطلب الأول: حول ترجمته.[3]

- **مولده ونشأته:**

هو الدكتور العلامة نور الدين بن محمد بن حسن بن محمد بن حسن عتر، وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه. عالم عامل، إمام، محدث، مفسر، فقيه، محقق، أستاذ علم الحديث والتفسير والفقه في جامعتي دمشق وحلب، وغيرهما من الجامعات العربية.

ولد في مدينة حلب، يوم الأربعاء السابع عشر من شهر صفر، سنة: ست وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافق للثاني والعشرين من نيسان، عام: سبعة وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد، في حي عريق من أحياء حلب القديمة، (حيّ البستان).

ونشأ في أحضان أسرة عرفت بحبها للعلم وملازمة العلماء والأخذ عنهم، فوالده الحاج محمد كان من الملازمين للشيخ محمد نجيب سراج الدين، لا يكاد ينقطع عن درس من دروسه، وقد زوجه الشيخ ابنته، أمّا جده الشيخ حسن، فكان من أقرب المقربين للشيخ محمد نجيب سراج الدين، وكان يقيم في بيته مجلساً للشيخ كلّ يوم ثلاثاء، يحضره كبار علماء حلب وطلبة العلم فيها.

- **مراحل تلقيه العلوم الشرعية:**

لما أتمّ الشيخ تعليمه الابتدائي، انتسب إلى المدرسة (الخسروية) ، وفيها التقى بمجموعة من علماء حلب الكبار، أمثال الشيخ محمد نجيب خياطة، وقد أخذ عنه علوم التلاوة والتجويد والفرائض، والشيخ عبد الله حماد، ودرس عليه الفقه الحنفي، والشيخ محمد أسعد العبجي، وقرأ عليه الأصول وعلوم اللغة العربية، والشيخ عبد الوهاب سكر، وأخذ عنه السيرة النبوية، وتراجم أعلام الإسلام، والشيخ محمد أبو الخير زين العابدين، وقرأ عليه علوم التوحيد والمنطق، والشيخ محمد الملاح، وقد أخذ عنه علوم الحديث النبوي ومصطلحه، والشيخ محمد السلقيني، وقد أخذ عنه علوم الفقه الحنفي وأصوله، والشيخ محمد راغب الطباخ، مدرِّس الحديث النبوي الشريف ومصطلحه والتاريخ الإسلامي، وغيرهم من العلماء، كما حصل الشيخ في هذه المدرسة بعض العوم الكونية، وكان فيها مثال الطالب المجد إلى أن تخرج بها، سنة: 1958 م.

وبعد تخرجه في المدرسة (الخسروية)، التحق بجامعة الأزهر بالقاهرة، والتقى فيها مجموعة ثانية من شيوخه الكبار، أمثال الشيخ مصطفى مجاهد، والشيخ محمد عبد الوهاب البحيري، والشيخ محمد شعبان حسين، والشيخ محمد السموحي،

[3] رابطة العلماء السوريين https://islamsyria.com/site/show_cvs/1389 ، قد عرفت د نور الدين عتر عن قرب لأنه كان أستاذي في قسم الحديث وعلوم السنة بدمشق في مرحلة الماجستير وبالتالي كثير من مراحل الترجمة قد نقلتها عنه مشافهة.

والشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، وغيرهم كثير، وتخرج في جامعة الأزهر، وكان الناجح الأول على دفعته، وحصل على عدد من الجوائز لتفوقه.

ثمّ عاد إلى موطنه حلب، ليعمل مدرساً لمادة التربية الإسلامية، لكنّ حبه لمتابعة طلب العلم، دفعه إلى ترك وظيفته مدرساً في مديرية التربية، والعودة إلى القاهرة من جديد، ليتابع دراساته العليا بجامعة الأزهر، في علم الحديث في شعبة التفسير والحديث.

وأكب الشيخ على الدراسة والبحث بكل همة واجتهاد، واجتاز امتحانات درجة (الماجستير)، ثم انصرف إلى تحضير أطروحته لنيل درجة (الدكتوراه) في الحديث، عن جامع الإمام الترمذي، وكانت بعنوان **(طريقة الترمذي في جامعه والموازنة بينه وبين الصحيحين)**، بإشراف شيخيه، الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، والشيخ محمد السموحي، وبعد المناقشة حصل الشيخ المترجم له على الشهادة العالمية (الدكتوراه)، بتقدير: ممتاز وذلك عام: 1964 م.

- **جهوده العلمية ووظائفه التي تقلدها**

بعد حصول شيخنا المترجم له على الشهادة العالمية (الدكتوراه)، عاد إلى حلب، ليواصل عمله في التدريس ونشر العلم في ثانوياتها، لكنه ما لبث أن أوفد عام: 1965 م، إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، مدرساً فيها إلى عام: 1967 م، حيث عاد إلى وطنه، ليعمل مدرساً للتفسير وعلوم القرآن والحديث والمصطلح والفقه والعقائد والأديان في كلية الشريعة في جامعة دمشق، كما درس علوم القرآن وأدب الحديث الشريف في كلية الآداب في جامعتي حلب ودمشق.

شغل الشيخ المترجم له عدداً من المناصب العلمية والإدارية، في عدد من الجامعات العربية منها:

1- رئيساً لقسم علوم القرآن السنة، في كلية الشريعة في جامعة دمشق، لأكثر من خمس عشرة سنة.

2- رئيساً لشعبتي التفسير وعلوم القرآن والسنة ، وعلوم الحديث، للدراسات العليا في فرع جامعة أم درمان الإسلامية في دمشق.

3- رئيساً لشعبة أصول الدين، للدراسات الجامعية والعليا في جامعة الأزهر، فرع دمشق.

4- خبيراً لتقويم مناهج الدراسات الجامعية الأولى في عدد من كليات الشريعة.

5- خبيراً لتقويم مناهج مرحلة (الماجستير) في الحديث، وبناء (الدكتوراه) عليها في عدد من الجامعات، منها جامعة الشارقة.

6- خبيراً معتمداً ومحكماً لتقويم البحوث العلمية والمؤلفات المتميزة، لدى خمسة عشر جامعة ومؤسسة علمية، كجامعة الشارقة والكويت وحلب ودمشق وغيرها.

7- حكّم وناقش وأشرف على أكثر من ستين رسالة لدرجة (الماجستير)، وخمساً وعشرين رسالة لدرجة (الدكتوراه)، في جامعات دمشق وحلب والأوزاعي وأم القرى وغيرها.

8- مشرفاً على برنامج حفظ السنة النبوية سنداً ومتناً.

- **مؤلفاته**

للشيخ المترجم له كثير من المؤلفات العلمية في علوم القرآن، والحديث النبوي الشريف، والفقه، والثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي، تقارب الخمسين مؤلفاً ما بين تأليف وتحقيق، فمن الكتب التي **ألفها ابتداءً في علوم القرآن وتفسيره:**

1- علوم القرآن، طبع دار الخير بدمشق عام: 1993 م.

2- محاضرات في تفسير القرآن الكريم، طبع بدمشق عام: 1984 م.

3- محاضرات في علوم القرآن، طبع مطبعة الإنشاء بدمشق عام: 1984 م، ثمّ عدّل فيه، وأضاف عليه دراسات جديدة، وطبعه تحت عنوان (في تفسير القرآن وأسلوبه المعجز).

4- التفسير وعلوم القرآن، طبع دار المعارف بدمشق عام: 1993 م.

5- تفسير سورة الفاتحة أمّ الكتاب، في ضوء السنة النبوية، وفنون اللغة والبلاغة العربية، طبع دار البشائر في بيروت عام: 994 م.

6- القرآن الكريم والدراسات الأدبية، طبع المطبعة الجديدة بدمشق عام: 1985م.

7- التفسير: أحكام القرآن، طبع مطبعة الإنشاء بدمشق عام: 1982 م.

8- آيات الأحكام: تفسير واستنباط، من منشورات جامعة دمشق عام: 1999م.

9- كيف تتوجه إلى العلوم والقرآن الكريم مصدرها، طبع دار الرؤية عام:2001م ثمّ لخصه في رسالة بعنوان (كيف تتوجه إلى القرآن).

10- أحكام القرآن في سورة النساء، وهو من محاضرات الدراسات العليا طبع عام: 2004 م.

وفي الحديث النبوي الشريف نجد له المؤلفات التالية:

1- منهج النقد في علوم الحديث.

2- أصول الجرح والتعديل.

3- الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين.

4- إعلام الأنام شرح بلوغ المرام لابن حجر.

5- لمحات موجزة في أصول علل الحديث، طبع دار القلم بدمشق، عام:2003م.

6- معجم المصطلحات الحديثية، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق عام: 1976م.

7- السنة المطهرة والتحديات، طبع دار الفلاح بحلب عام: 1984م.

8- في ظلال الحديث النبوي، وهو دراسة أدبية لخمسة وسبعين حديثاً

9- القرآن والحديث: علم الحديث والدراسات الأدبية، طبع مطبعة الإنشاء بدمشق عام: 1982م.

10- مناهج المحدثين العامة في الرواية والتصنيف، طبع دار الرؤية بدمشق عام: 2002م.

11- فضل الحديث النبوي الشريف، وجهود الأمة في حفظه، رسالة طبعت عام: 2006م.

وفي مجال الفقه الإسلامي نقف للشيخ على المؤلفات التالية:

1- الحج والعمرة في الفقه الإسلامي.

2- تعلم كيف تحج وتعتمر على المذاهب الأربعة.

3- المعاملات المصرفية و الربوية وعلاجها في الإسلام، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت.

4- هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلوات الخاصة، طبع دار الفكر بدمشق عام: 1971 م.

5- أبغض الحلال، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت.

6- أبحاث خاصة بالموسوعة الفقهية الكويتية، تتعلق بالحج ومصطلحاته، تزيد على الستمئة صفحة.

وفي الفكر والثقافة الإسلامية، نقرأ للشيخ نور الدين المؤلفات التالية:

1- ماذا عن المرأة، طبع أحد عشر طبعة، آخرها في دار اليمامة بدمشق، عام: 2003 م.

2- النفحات العطرية من سيرة خير البرية، رسالة صغيرة طبعت عام: 1998 م.

3- الاتجاهات العامة للاجتهاد ومكانة الحديث الآحادي الصحيح فيها، طبع دار المكتبي بدمشق عام: 2000 م.

4- صفحات من حياة الإمام شيخ الإسلام الشيخ عبد الله سراج الدين الحسيني، طبع دار الرؤية عام: 2002 م.

5- فكر المسلم وتحديات الألف الثالثة، طبع دار الرؤية بدمشق عام: 2002 م.

6- حبّ الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من الإيمان، رسالة طبعت عام: 2007 م، وهي آخر ما صدر للشيخ حتى الآن.

وقد قام الشيخ بالعناية والتحقيق للكتب التالية، ونشرها:

1- علوم الحديث لابن الصلاح.

2- شرح علل الترمذي لابن رجب.

3- المغني في الضعفاء للذهبي.

4- إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق، صلى الله عليه وسلم، للإمام النووي، طبع دار البشائر الإسلامية ببيروت عام: 1988م.

5- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر، طبع مطبعة الصباح بدمشق عام: 1992م.

6- الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي، طبع دار الكتب العلمية ببيروت عام: 1975 م.

7- هدية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك، لابن جماعة، طبع دار البشائر ببيروت عام: 1994 م.

المطلب الثاني: مفهوم التأويل الأدبي للنص.

في هذا الجانب استعرض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لكلمتي (التأويل، والأدب) لما لهما من المناسبة الدلالية في نص الحديث النبوي، وبالتالي فإن التأويل الأدبي مرتبط في معناه بألوان متعددة من المفاهيم ،وهو من حيث هذا التعدد اللغوي يخدم الإسقاطات الأدبية في الحديث النبوي، وبذلك يرى بعضهم أنّ مفهوم التّأويل منبَثِقٌ مِن :أوّلَ الكلام وتأوّلَه: دبّره وقدَّرَه، وأوّله وتأوّله :أي فسّره[4] : «.قال تعالى **(و لَمّا يَأتِهِم تَأوِيلُه)** [سورة يونس – الأية 39]، أي بيانه وتفسيره ،فنجد أن كل النصوص تحمل قيمة أدبية سواء كانت من الوحي الإلهي أو الوضع الإنساني وهذه القيمة الأدبية في دلالاتها تحتاج في استخراجها وبيانها إلى تدبر وتقدير، ومن ثم إلى تفسير وإيضاح وبهذا كان المعنى اللغوي للتأويل له ارتباطه الوثيق بالمفهوم الأدبي.

- وعند الأزهري في تهذيب اللغة يعني: الرجوع " من آل يؤول، أي رجع وعاد"[5] ،وهذا المعنى كذلك له اسقاطه الأدبي ،وذلك من حيث الرجوع بالنص إلى الدلالة الأدبية دون غيرها من الدلالات الفقهية أو الشرعية .

---

[4]- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت

[5]- أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللّغة، حقّقه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، مصر، 1967 م، ج 15 ، كتاب اللّام، باب لفيف حرف اللّام، ص 45

- وعند ابن فارس في "مقاييس اللغة يعني": العاقبة[6] ؛لأنّ ظاهرة التأويل ترتبط بالدلالة الأسلوبية، ومحاولة التّوصل إلى الغاية المقصودة من الأساليب اللغوية.
- وقد عرفه الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات بأن التأويل :"في الأصل الترجيع، وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا،للكتاب والسنة".[7]

معنى كلمة "الأدب" لغويا

جاء ذكرها في اللغة بمعان عديدة منها التأديب أَدَبَ يَأْدِبُ أدباً: من باب ضرب: أدبته أدبا علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.[8] والأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي أدبا لأنه يأدب الناس الذين يتعلمونه إلى المحامد وينهاهم عن المقابح.[9] "، فالأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل, فالأدب اسم لذلك والجمع آداب مثل سبب وأسباب"[10].

- وقيل: إن أصل الأدب الدعاء, ومنه قيل للصنيع يُدعى إليه الناس مدعاة و مأدبة[11].وأدب أدبا من باب ضرب أيضا صنع صنيعا ودعا الناس إليه , فهو: آدب, وقال طرف

نَحْنُ في المشتات نَدْعُو الجَفَلىَ

لا تَرَى الآدِبَ فينا ينْتَقِر[12]

- وقد يأتي مفهوم الأدب بمعنى الصنيع ، وهو الطعام الذي يُعد للدعوة كالعرس أو أي مناسبة فيها الطعام؛ للاجتماع عليه ولهذا جاء "الأدَبة جمع آدب مثل كتبة وكاتب وهو الذي يدعو الناس إلى المأدبة وهي الطعام الذي يصنعه الرجل ويدعو إليه الناس.[13]،وقد جاء في الحديث النبوي توظيف هذا المعنى اللغوي حول هديه صلى الله عليه وسلم وتشبيه القرآن بالمأدبة التي يلتقي عليها الناس ويتزودون بما فيها من أنواع المطعومات، فهذا الهدي مأدبة للعقول والنفوس والأرواح يزودها بالنور والهداية ، قال صلى الله عليه وسلم : **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ]**.[14]

---

[6] – أحمد بن فارس بن زكريّا أبو الحسن، معجم مقاييس اللغة، حقّقه عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، سوريا، 1979 م، المجلّد 1، باب الهمزة، ص 162

[7] –الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف: التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة _ مصر، د.ط، د.س، ص 4

[8] – أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, (د.ط.ت)
المكتبة العلمية, بيروت, لبنان, مادة (أدب).

[9] – محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، لسان العرب/ المعرفة بيروت لبنان, تحت مادة (أدب), 206/1 .

[10] – تاج العروس, مادة (أدب), 74/ 9.

[11]– المصدر نفسه.

[12]– سيف الدين و أحمد عصام ،شرح ديوان طرفة بن العبد, (د.ط): 1989 م, دار مكتبة الحياة, بيروت, ص 52.

[13] –اللسان, مادة (أدب),206/1.

[14]– سنن الدارمي, عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي, دار الكتاب العربي, بيروت, تحقيق : فواز أحمد

تعريف الأدب اصطلاحا:

لقد عُرِّف بأنه : "التعبير عن تجربة شعورية في صورة مُوحية"[15].

والمراد من (التجربة الشعورية) هو تأثّر الأديب أو الشاعر بمؤثرات داخلية أو خارجية, ما يحرّك وجدانه, ويثير عواطفه, ويدفعه إلى التعبير عنه خلال أدوات التعبير اللغوي في قالب أدبي محدّد [16] ثم إذا كان هذا التعبير عن هذه التجربة في أسلوب شعري سُمِّيت تجربة شعرية, وإذا كان نثراً سميت تجربة نثرية[17].

وإذا ما عرضنا هذا التعريف على النص النبوي لوجدناه أبلغ من كونه تجربة شعرية ذات عناصر فكرية متبلورة في فكر إنسان، ولربّما أخطأ أو أصاب في الترتيب والتنسيق لمطابقة وجدانه للواقع والحقيقة، بل النص النبوي يفوق ذلك في مغزاه وتعبير صوره التي ليست صادقة فقط بل معجزة ومبهرة وملهمة للمشاعر، حيث تحمل عناصر الإبداع لكل فكر يلامس كلماته المشرقة بالدلالات الأدبية التي لا حصر لها ،وكيف لا يكون كذلك وهو كلام أفصح البلغاء الذي لا ينطق عن الهوي، وقد أوتي جوامع الكلم ،ولعل هذا ما حمل د. نور الدين عتر بأن يخوض هذا الغمار الذي لم يسبقه عليه أحد من المعاصرين، لما لامست عذوبة كلمات الحديث النبوي وجدانه، وتحركت بذلك مشاعره ،فوجد فيه من صور التعابير وملامح التأويل ما لم يجده في نص نثري ولا شعري بأسلوب معاصر حديث.

تعريف ((التأويل الأدبي)) بالمفهوم الإضافي:

أما في المعاجم الحديثة، فنجد "إنّ التأويلَ في أدقّ معانيه: هو تحديد المعاني اللغويّة في العمل الأدبي، من خلال التحليل، وإعادة صياغة المفردات والتراكيب، ومن خلال التعليق على النّص، وأمّا في أوسع معانيه: هو توضيح مرامي العمل الفني ككلّ ومقاصده باستخدام وسيلة اللغة ، وبهذا ينطوي التأويل على شرح خصائص العمل وسماته، مثل: النوع الأدبي الذي ينتمي إليه، وعناصره، وبنيته، وغرضه، وتأثيراته ".[18]

المطلب الثالث: أهمية دراسة دلالة التأويل الأدبي لدى د.عتر في الحديث النبوي:

يرى د. نور الدين عتر بأن دراسة الأدب النبوي له من الأهمية والأهداف بحيث لا تحققها أية دراسة لأي أدب بشري ، وقد ذكر لهذه الأهمية جوانب متعددة وهي[19]:

1407 هـ, دار الكتب العلمية, , ط 1, كتاب فضائل القرآن, فضل من قرأ, رقم الحديث: 3173.

[15] – سيد قطب, النقد الأدبي أصوله ومناهجه, ط 8 : 2003 م, دار الشروق, القاهرة, ص: 11.

[16] – عبد الباسط بدر, نظرية الأدب الإسلامي, ط :1405،1 دار المنارة, جدة, ص: 15.

[17] المصدر نفسه.

[18]– الرويلي ميجان و البازعي سعد: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–بيروت، ط3 ،2002، ص :88.

[19] ينظر : في ظلا الحديث النبوي د نور الدين عتر ص :8.

1- إن هذه الدراسة الأدبية للحديث النبوي تجعلنا نقف على أسرار البُنية اللغوية والبيانية لهذا البيان الفذ في بيان البشر الذي أجراه الله على لسان نبيه ،وفجره حكمة من ينبوع قلبه ليشرح مباني كتاب الله ومعانيه، ويفصل مقاصده ومراميه؛ مما جعل للحديث النبوي الموقع الخطير الرفيع في اللغة العربية خاصة واللغات والآداب العالمية عامة ولما له من أثر العظيم".

2- الوقوف على خصوصية الفصاحة والبيان التي أوتيها النبي ρ وما كان في لغته وبيانه من الفصاحة والقوة والسلامة والدقة مع الغاية في إيجاز اللفظ، ووضوح المعنى كما حدث بذلك وتمدح بقوله في الحديث الصحيح **(وأوتيت جوامع الكلم]**[20].

3- القوة اللغوية والبيانية التي امتاز بها الحديث، فإن نصوص الأحاديث جاءت بلا مراء عند أهل العلم واللغة بأفصح الألفاظ، وأجمل التراكيب والعبارات، وذلك مما لا يشكك أحد في أهميته للدارس والمتأدب لتصحيح لغته، وتهذيب أدائه والارتقاء ببيانه عربيا كان أو غير عربي، مما يحتم على دارس العربية المزيد لإتقانها، أو القاصد لتذوق جمالها المستمتع بمحاسنها أن يعنى غاية العناية بدراسة الحديث النبوي لغة وأدبا وبلاغة وسلوكا، فإنه لا يجد في البيان البشري ما يفوقه وإن كان يجد شذرات وومضات قد ترقى إليه وتضاهيه.

4 – الكشف عن وسائل وطرق في التجديد البياني ،فإن الحديث النبوي أتى بأساليب وعبارات مبتكرة في البيان لم يسبق إليها أحد ،ولم يدّعها أحد، ولا شك أن دراستها تساعد على اكتشاف طرق التجديد ومتابعة سبيل النهوض اللغوي والبياني في لغتنا العربية وأدبنا العربي.

5 نوعية الأفكار الموضوعية التي طرقها الحديث النبوي ، كانت للبيان غايات محدودة في المدح الهجاء، والفخر، والحماسة ،والغزل، والرثاء، في أُطُر تقليدية، فجاء الحديث النبوي بفنون كثيرة من أبواب الكلام يظل نطاق الدارس للغة العربية وآدابها قاصرا جدا بل مختلا إذا لم يدرس أصولا عن هذه المواضيع والأفكار وجوانب عامة منها.

6- معرفة أثر الحديث النبوي في الحياة العربية والإنسانية من جوانبها كلها، ذلك بالنظر في طبيعة المرحلة التي ظهر فيها الحديث النبوي، وهي مرحلة كانت على غاية القوة في البيان العربي في العصر الجاهلي، وإن كانت من ناحية أخرى مرحلة ظلام وبدائية في العقيدة والفكر و الحياة، مما يجعل دراسة الحديث النبوي على غاية من الأهمية؛ لكشف فوائد جليلة في تاريخ الأدب العربي، حيث نعرف أثر الحديث في جوانب الحياة كلها اللغوية والأدبية والثقافية والحضارية والاجتماعية وغير ذلك، ونعرف الأسلوب الذي امتاز بالحديث النبوي حتى كانت له تلك النتائج التي هي في الأصل نابعة من القرآن، لكن للحديث النبوي أثره وحضوره الواضح ما دام موقعه من القرآن كما هو معلوم موقع التفسير والتفصيل.

[20]- مسلم بن الحجاج ،صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،كتب المساجد ومواضع الصلاة (371/1) رقم (523).

7- في هذا الجانب يتعجب د .عتر من بعض المفكرين المعاصرين الذين قلّلوا من شأن أهمية دراسة النص النبوي بالأسلوب الأدبي المعاصر بقوله " قد يبدو مستغربا لدى بعض المثقفين ثقافة عصرية ...." الذين تجدهم ينهمكون في دراسة نصوص أحيانا لا تجد لها قيمة أدبية كبيرة بل تجدها ذات بُنيان لغوي ركيك حيث يحاولون أن يضعوها في قالب أدبي مُزيّف بينما يتغافلون على النص النبوي المتكامل بنيانه، وينكرون على من أقدم بالكشف والبحث على أدبياته الرفيعة بالأساليب الحديثة، فيصفهم بقوله :" ...أن ذلك ليس إلا نتيجة عقولهم التي تحجّمت في نطاق من المعرفة ،بل نطاق ضيق جدا من الفكرة المادية أبعدهم عن تصور الحقيقة الأدبية للحديث النبوي ومقوماته اللغوية والفنية، وأنساهم ما كان لفنّ البيان النبوي من أثر عظيم في بناء الإنسان وتقدم الإنسان وحضارة الإنسان..." ،ويلمح د .عتر من هذا القول: بأن من استهان بهذه الدراسة كان اعتراضه في كيفية تطبيق أسلوب معاصر من قواعد التأويل الأدبي على نصوص قد مرّ عليها من قدم الزمان أكثر من أربعة عشر قرنا، وقد فاته هذا المعترض بأن النص الحديثي هو نص يمتلك من قوة البيان الأدبي وبلاغته ما يعطي من الجديد ما يجاري به في كل عهد ما يحصل من حداثة التطور في فهم النصوص الأدبية ، وذلك لما يحمله من معاني الإعجاز وبلاغة الإيجاز التي لا تنضب دلالاته من كل وجه في كل عصر؛ ولهذا قال عتر :" ... وما اضطلع عليه هذا البيان الكريم من استمرار أهدافه في البناء والتقدم على اتساع المكان ودوام الزمان"[21].

المحور الثاني: تطبيقات حول تأويلاته الأدبية من خلال حديث (الغيث)

نص الحديث:

عن أبي موسى الأشعري – τ– مرفوعاً: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمَ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فكانتْ مِنها طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتْ الماءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكَان مِنها أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فَنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وسَقَوا وَزَرَعُوا، وأَصَابَ طَائِفَةً مِنها أُخْرَى إِنَّما هِي قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فذلك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَنْ لم يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ».[22]

فمن خلال هذا الحديث الشريف تتضح الدراسة التأويلية لأدبية النص النبوي لدى د. نور الدين وهي مقسمة على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المحتوى الفكري حول تأويله لمفهوم الغيث:

[21] – في ظلال الحديث النبوي ص:10.

[22]– محمد بن إسماعيل البخاري ،الصحيح الجامع ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر : دار طوق النجاة ،ط :1، 1422هـ ،باب فضل من علم وعلّم (27/1) رقم (79).

حيث يبرز للقارئ المفاهيم العامة ،والقيم الإنسانية المرتبطة بتعاليم هذا الحديث وتوجيهاته المتمثلة في أسلوبه الراقي بضرب من صور التمثيل البديع في مطلع الحديث بقوله: **(إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمَ كَمَثَلِ غَيْثٍ...)**

- وهنا نجد بأن د. نور الدين يستلهم من هذا المطلع ما يصور به في مخيلته مشهد الغيث النازل لنجدة أرض قاحلة ، والتي أتت عليها سنون عجاف، فهذا المشهد التمثيلي في الحديث النبوي يعبر بفكر د. نور الدين وشعوره الوجداني من خلال كلمة (الغيث) إلى كم كانت الإنسانية في تلك الفترة تعاني من شدة وحاجة ماسة إلى القيم التي تنقذ قحط النفوس وعجافها، فمن خلال هذا المطلع يحاول د. نور الدين أن يرسم لنا مشهد الجفاف الفكري والأخلاقي الذي كانت عليه تلك الأمم وشعوبها من ظلام الجاهلية آن ذاك حيث يقول :" لقد كان العالم كله مفتقر إلى دعوة منقذة يتلهف إليها لنجدته وإنقاذه ،إنها هي مصداق ما ضرب النبي ﷺ من المثل، لقد كان الناس جميعًا وفي كل قطر كأرض قاحلة أتت عليها سنون عجاف ،سنون قحط وجفاف فهي ميتة هامدة لا حياة فيها ولا ثبات، فكانت بعثته صلى الله عليه وسلم غيثا غديقًا أحيا الناس بعد موات، وسراجًا أنقذهم من الظلمات إلى النور ". [23]
- ثم نجده يصرح في موضع آخر بحقيقة هذا الغيث والضرورة الملحة إليه في خطاب صريح واضح المعنى وذلك بإرجاع لفظ (الغيث) إلى الأصل المراد منه فيقول :" وحاجة الناس إلى الإسلام هي حاجة افتقار ملحة، إنها ضرورة لن تستقيم الحياة بفقرها، وركن لا تقوم للإنسانية وقيمها قائمة بدونه ...". [24]
- ثم يستطرد ليصور لنا هذه الحقيقة في مشهد واقعي يصف فيه الحال التي كانت عليه الإنسانية من ظلم وجور وظلمات داجية بتصوير تاريخي لأحدى أكبر أمم ذلك الزمان عِدّة وعُدّة فيقول :" بُعث النبيρ والإنسان في ظلمات داجية وظلم وقهر مستبدين أخذا على البشر كل سبيل ، فالروم الذين كانوا أحدى دولتي العالم تسيطر عليهم الروح الاستعمارية وكانت النظم الطبقية الظالمة وقوانين الضرائب الماحقة تكبل حركة الإنسان، وتقيد حريته حتى يكاد يكون مستعبدا ،ومن فوق هذا كله يتربع قيصرهم متألها على شعوبه التي استعمرها وأذلها وكانت هناك المفاسد الخلقية حليفة كل حكم فاسد " .[25]
- ثم ينتقل بنا إلى مشهد مريع آخر من أعظم شعوب ذلك الزمان الذين يضاهون الروم في سلطانهم وهم الفرس فيقول :" في دولة الفرس شاعت فلسفة عجيبة في انحرافها وفجورها تلك هي فلسفة الزردشتية المجوسية التي أباحت نكاح

[23] – في ظلال الحديث النبوي ص: 11
[24] – في ظلال الحديث النبوي ص: 11
[25] – المصدر نفسه ص:19

المحارم وعبدت الناس للنار والمَزْدكية التي أشاعت الفوضى بإشاعة النساء والأموال، فكانت تلك الفلسفات فوق تلك المفاسد التي عرفها الرومان ضغثا على إبالة".[26]

- وينقلنا أيضا لتصوير حالة شعب آخر لا يقلون في الأهمية عن دولتي الفرس والروم حيث كانوا يُوسَمون بعلو الثقافة وطراوة الفكر الفلسفي، ومع ذلك كانوا على تيه فكري وسفسطة عقدية تتناقض مع ما يدعون من معرفة عقلية راقية يتبجحون بها على أهل عصرهم فيقول :" أما اليونان فقد سيطرت عليهم وساوس الفلسفة مزقت وحدتهم، وعبدوا الأصنام وتعددت الآلهة عندهم ونسجت حولها الأساطير من حرب وسلام وهجر وغرام مما يصلح أن يروى عن الأطفال أو ينسب لأناس ماكرين شررين، حتى إن كبار الفلاسفة كانوا يقرون بتعدد الآلهة، مما أدى إلى تناقضات عجيبة في فلسفاتهم وتحرضات تمثل طفولة بشرية لا نهوضا حضاريا فضلا عن المشاعة الجنسية والخرافات التي دبت في أوصال المجتمع صادرة من أفواه ممن يدعون فلاسفة فكانوا في هذا على حال هي أسوأ من حال العرب في جزيرتهم ".[27]
- ثم يستطرد بنا في هذا الجولان الفكري بين أعظم شعوب وأمم المنطقة في تلك الآونة وينتقل ليصور ما عليه حالة العرب من واقع منحط فيصف الوضع القاتم الذي هم عليه من التشرذم والتمزق والتخلف فيقول :" أما العرب فقد عبدوا الأوثان لكنهم لم يجعلوا أصنامهم بمنزلة آلهة اليونان ولا ريب أن الشرك أفظع درك ينحط إليه الإنسان في حق نفسه وفي حق ربه [**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**] : 13 لقمان، (وبإزاء ذلك نجد أن الجزيرة العربية مزقتها الخلافات القبلية والحروب الدامية التي تنشب لأتفه الأسباب حتى يقتل الرجل ابن عمه وابن أخيه شواجر رماح تقطع بينها شواجر أرحام ظلوم قطوعها ،وتحكمت في العرب تقاليد الجاهلية كالثأر ووأد البنات والطيرة وغيرها ،حتى كانوا أبعد الناس من المَدَنِيّة ،وأصبحوا في عرف جيرانهم أسوأ الناس حالا وكانت القبيلة في نظر العربي حينذاك هي الوطن الأكبر، فكاد الحس العروبي كما أن أخلاقهم المتعصبة منعتهم من التفتح الذهني لإنشاء الحضارات ،فكانوا مقيدين بسلاسل اللذائذ الدنية مهملين شؤون المدنية في شتى مجالات الحياة لغيرهم من الأقوام ".[28]

ثم بعد هذا العرض التفصيلي للأمم التي كانت تتضور جوعا وتلتوي عطشًا من قحط القيم وبالأخص الأمة العربية أوضح "أن صورة البشرية في حاجتها إلى دعوة محمد بن عبد اللهρ كالأرض العطشى التي أصابها المحْل، واشتد بها الظمأ فهي بأمس الحاجة إلى مطر كثير ينقذها من القحط واليبس، وهذا الغيث هو ما بعث به النبي ρ من الهدايات المعرفة بالله واليوم الاخر ...".[29]

ثم ينقلنا من خلال إيحائه التأويلي في الحديث النبوي لتصوير هذا الإنقاذ العظيم بأنه : " المطر الذي ينزل إلى أرض قاحلة، وأكد هذا الوصف، فعبر عن المطر بالغيث الكثير فهو إذن عظيم الفائدة كثير الخير ؛لأنه غيث فلا يأتي

---

[26] – المصدر نفسه.

[27] – في ظلال الحديث النبوي ص: 20.

[28] المصدر نفسه

[29] – المصدر نفسه ص:23

إلا بالخير، كذلك هذه الرسالة قد شملت خيرات الدنيا ونعيم الآخرة وأنقذت الناس من السوء والشرور، فهي غيث عظيم لا تشوبه شائبة النقص أبدا ".[30]

ثم يصور لنا بعد هذا المحتوى الإيحائي لِما دل عليه مفهوم الغيث من الضرورة الماسة له النتائج الإيجابية لهذا الغيث فيقول :" لقد جعلت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وصيّرت العربي الأمي رائدًا يحمل مشعل النور للبشرية يقف بقوة الإيمان وعزته أمام أعظم قيادات الأرض يلقنهم مبادئ الحق والعدل ،هذا رِبْعِي بن عامر يقف أمام القائد الفارسي الضخم رُسْتم يبلغه ويحاوره فقال: له رستم ما جاء بكم قال ربعي: الله بعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ،ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ...".[31]

الاسقاطات المعاصرة من خلال التأويلات الأدبية لمفهوم (الغيث).

يرى د.عتر بأن الزمان دار دورته المعاصرة بين الأمم والشعوب، فعادت كهيأتها الأولى من القحط الفكري، والظلم الاستبدادي، والفقر الأخلاقي، حيث ضاعت الشعوب بين متاهات المادية والانحلال السلوكي، فيقول معنونا :" واليوم يعيد التاريخ نفسه " ،ويذكر " بأن الظلم ساد العالم على أيدي الدول الكبرى الاستعمارية، والمادية القائمة، ألهبت حقد الناس حتى أصبح الإنسان كالنّهم المسعور في السعي إليها، والصهيونية بأساليبها الخبيثة تعمل أساليب الهدم والتمزيق في القيم الإنسانية؛ لتصل إلى ما خططته أهدافها ". [32]

ثم يرجع بالتذكير إلى حاجة الناس الضرورية للغيث النبوي كما كانوا عليه في العهود الأولى فيقول :" إن حاجة الناس اليوم إلى الإسلام عظيمة جدا ، لكن هذه المخاطر في الحضارة المادية الزائفة تستتر وراء مظاهر الفخامة والعظمة الخادعة، تخدع بها السذج والبسطاء عن الحقائق المخفية التي تنطوي عليها"[33].

ثم يذكر من الأدلة المادية ما يثبت بأن العالم الإنساني المعاصر وصل إلى ذروة القحط الذي يأمل من ورائه بالغيث المنقذ من هذا الهلاك حيث يصف د .عتر بأن هذه الحضارة التي أرْدت بقيم إنسانية الشعوب إلى هاوية المادة المحضة لهي شقاوة ، فيقول:" أليس حسبنا دليلاً على شقاوة الإنسان في هذه الحضارة أن نجد الانتحار على أعلى نسبة وأكبر عدد في أكثر البلاد غنى وأعظمها ترفا وبطرا ؟ أليس حسبنا دليلا على فشل هذا الاتجاه المادي في إقرار الحياة السعيدة أن نجد الحياة الزوجية لا تكاد تستقر في أعظم الدول وأقواها إذ بلغت نسبة الطلاق في أمريكا 48% و65%؟ ،أليس حسبنا بعد ذلك ما تخلفه هذ المادية من مستقبل كالح مظلم للجيل الجديد ، الجيل المسكين الذي لا يعرف كثيرا من أفراده

[30] – في ظلال الحديث النبوي ص:23.
[31] – المصدر نفسه ص: 21.
[32] – المصدر نفسه ص: 22
[33] – المصدر نفسه

آباءهم الحقيقيين، شعوب من البشر تربى في بيوت من الحضانة الاصطناعية كما يُربى الدجاج وتُربى الأبقار... ثم أليس حسبنا أن تؤدي الحرية المزعومة في الحياة الجنسية إلى خطر عظيم يهدد البشرية بعواقبه الوخيمة الصحية ".[34]

- ثم ينتقل ليصور أهمية غيث الهداية النبوية في العصر الحديث، وما عصف به من الانحطاط المادي المقيت فيقول :" ألا ما أحوج الإنسانية إلى هداية تنقذها من دياجير الظلم الحالك وما أشقاها ليبعدها عن تلك الهداية ...في هذا العصر وفي كل العصور ،إذن قد جاء الغيث وأسعفت الرحمة الإلهية هذا الإنسان ،وإنه لغيث عام شمل الناس كافة كما يشمل غيث المطر الواسع الأرض كلها، لكن هذه الأرض ليست نوعا واحدا، وليست كلها على صفة واحدة بل إنا نجد الأرض في تقبل الغيث تختلف من بقعة إلى أخرى ".[35]

- **تأويلاته حول البديعيات البلاغية.**

يصف د.عتر من خلال هذا الحديث صفة هذه الأرض التي استقبلت الغيث، ويذكر بأن الأسلوب الذي أوضح به الحديث طبيعة هذه الأرض التي تعددت صفاتها هو أسلوب اللفّ والنشر من البديع البلاغي فيقول :

" وهكذا قسم الحديث الأصناف تقسيما حسنا، واتبع كل قسم ما يخصه جريا على أسلوب اللفّ والنشر المرتب.

1- فهناك الأرض الطيبة الخصبة الجيدة تتقبل الماء فتنبت ألوان الخيرات النافعة.

2- وهناك أرض جديبة هي إخاذات، تحتوي على الماء، لكنها لا تشربه بل تحفظه فينتفع به الناس سقيا وزرعا....

3- وهناك أرض هي قيعان لا تقبل شيئا من الماء تنتفع به أو تنفع به أحداً....

وهكذا ذكر الحديث ضربا مثلا رائعا حول طبائع الناس وأحوالهم الذين مثّلهم الحديث بالأرض ذات الصفات الثلاث في استقبال الهداية النبوية الممثلة في الغيث حيث يستطرد د عتر في بيان هذا الأسلوب التمثيلي فيقول :" وهكذا تعددت مواقف الناس:

1-هناك الذين قبلوا الدعوة التي دعاهم إليها محمد ρ آمنوا بها ، وتعلموها فطابوا بها نفسا وقروا بها عينا، ووجدوا حلاوتها في قلوبهم، فكانوا عنصر خير وهداية للناس، يبلغون الدين ويعلمونه غيرهم كالأرض الطيبة تقبل الماء، ثم تخرج الثمرات النافعة .....

2-وهناك الذين آمنوا بدعوة الإسلام ولبُّوها، ثم عمموها في الناس، ونشروها لكنهم لم يستتموا الكمال في أنفسهم وقصروا في بعض ما تعلموا فمثل هؤلاء مثل الأرض التي تقبل الماء وتحفظه لغيرها لكنها لا تنتفع في إنبات عشب ولا كلأ، هذا القسم من الناس لم يصرح الحديث بذكره اكتفاء بفهمه من سياق الكلام.....

[34] – في ظلال الحديث النبوي ص:22

[35] – المصدر نفسه ص:23.

3-أما القسم الثالث فقد انتقل فيه الحديث لأسلوب جديد في ذكر مثلهم فلم يقل (**وكان منها طائف**] بل قال :(**وأصاب منها طائفة أخرى**] فخالف في الأسلوب؛ لأنه يتكلم عن وصف مختلف تمام الاختلاف عن الوصف السابق..... "[36].

المفاهيم التأويلية من خلال ذكر أصحاب الطوائف الثلاث.

- نجد من خلال ما سبق أن د. عتر في الأمثلة الثلاث السابقة يضعنا أمام معان تأويلية رفيعة من كل مثال، حيث في المثال الأول الذي يمثل في الذكر الطائفة الأولى جاء التعبير بقوله: (**فذلك مثل...**] فيستخلص عبر لام البعد، قوله :(فذلك) إشارة لسبقهم البعيد في الفضل والمنزلة العظيمة التي فازوا بها على غيرهم في أعلى المراتب .
- وأما في الطائفة الثانية فلم يصرح بذكرهم في الحديث ، و يؤول السبب في ذلك بأنه لم يذكرهم اكتفاء بفهمه من سياق الكلام، فحذفه اختصاراً وإيجازا، فيقول: بأنه لم يُرد التصريح به لهدف جليل لرفع منزلة المسلم بأن لا يرضى بهذه المنزلة، وإشارة له بأن تكون همته عالية لا يقبل بأدنى درجات الإيمان بل يطلب أغلاها ويسعى لأشرفها وأسماها حتى يكون له ذكر مع الطائفة الأولى الذين يعلمون ويعملون.
- أما أصحاب الطائفة الثالثة فكان سياق ذكرهم مختلف في الأسلوب، فصاغ منه فهما بأن ذلك يعود إلى الإشارة لاختلاف مزاجهم ،ولتبدل أحوالهم بالتشويش والغي في قلوبهم، فلا يقبلون هداية كما وصفهم الحديث .(**فلم يرفعوا بذلك رأسًا**].

المطلب الثاني : الجمال البنائي للحديث عند د.عتر.[37]

حيث يسلك بالنص مسلك تأويلي رفيع في إبراز البنية الجمالية له ، وذلك بتقسيمه النص إلى ثلاثة أقسام ،فنجده في المقطع الأول (**مثل ما بعثني الله به ....أصاب أرضا**) يستخلص عدة مناحي ومسالك جمالية في التركيبة الفنية للنص وهي:

أولا :التكثيف الذي يتبعه التفصيل ،وقد عبر عنه الفقهاء والأصوليون بالمجمل الذي يتبعه المفصل، فيذكر شارحا علية هذا الأسلوب وما أطفى على النص من جمال بنائي فيقول:" إذ جاء التكثيف ؛لاستجلاب الانتباه لإدراك التفاصيل وإثارة لهفة القلوب إليها مما يدل على تماسك النص وترابطه لاسيما في الربط الفني بين الهداية والماء ؛لأنهما ضروريان للإنسان.

ثانيا :مسلك تقديم الأهم ،وذلك في تقديم ذكر الهدى على العلم في قوله :" ...ما بعثني الله من العلم والهدى ..." فيقول في هذا الوجه : " وهذا يدل على أن الإسلام يصل بالمرء إلى أعلى مراقي الفلاح والصلاح ثم ينطلق به إلى

[36] – في ظلال الحديث النبوي ص: 24.

[37] – ينظر : في ظلال الحديث النبوي ص: 26-27.

الحقيقة الكبرى التي تساند فكره إزاء تخرصات الاتجاهات الفكرية الأخرى، ويجعل المؤمن الدارس له في أعلى مصاف الإدراك للحقائق " يقرر د.عتر بأن تقدم الهداية على العلم تعصم الباحث من توغلات الاتجاهات الفكرية المنحرفة، فليس كل علم مجرد عن الهداية يصيب بصاحبه جادة الحق، فكم من علم قد ضل بصاحبه ولهذا نجد ما يؤيد ما تأوله د. عتر في دعائه صلى الله عليه وسلم في قوله :" وأعوذ بك من علم لا ينفع".

ثالثا : مسلك الإشباع: إذ عبر بالغيث الكثير للدلالة على الخيرية العالية التي يحملها الإسلام المشبه بالغيث، وجاء اختيار الغيث لأن الغيث يأتي ملائما نافعا غير مؤذ ولو كثر".

المقطع الثاني :(فكان منها نقية ....ولا تنبت الكلأ).

يُبرز في هذا المقطع مسالك بنائية عديدة كذلك غير التي في المقطع الاول وهي:

أولا : مسلك التصعيد والتدرج ، وذلك في ذكر الأولى انتفاعا من هذا الغيث مبتدئا بذكر الأعلى تكريما من بين المخلوقين فيذكر ثم تدرج في سلم المخلوقات في قوله : " فَنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وسَقَوا وَزَرَعُوا) الإنسان ،الحيوان ، النبات ، متدرجا على سبيل التصعيد من الأعلى إلى الأسفل.

ثانيا الطابع الموسيقي في الافتتاحية : يظهر الجمال الموسيقي في بنية هذا المقطع من خلال قوله في الحديث " منها تقية" " منها أجادب" "منها طائفة أخرى" فهنا افتتاحية بقوله: (منها..) يأتي بعدها تنويع ،وكذلك هذا الطابع الموسيقي بين " الماء ....فأنبتت ، الماء ....فنفع" الماء فلا تنبت .

ثالثا أسلوب الحصر مع النفي في سياق النكرة التي تفيد الشمول :المتمثل في قوله: (إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ) وهذا الأسلوب الرائع يقول د .عتر عنه: " ليناسب حال الرفض الكلي الهجومي الذي يرفض مسلمات الإسلام دون البحث فيها، وزاد الموقف شدة ذلك التعبير بقوله: (إنما هي قيعان) الذي يفيد الحصر تأكيدا على العناد واختناق العقل ليكون عبرة في كل عصر وفي هذا العصر، لما في هذا التقابل والتوزيع والتنويع من توسيع المدارك وتهيئة الأذهان إلى فهم تباين المواقف وأسبابه استنباطا من تباين أحوال الأرض مع الغيث وأسبابه.

البنية الجمالية في المقطع الثالث :(فذلك مثل من فقه ....فعلم وعلّم).

أولا : الابتداء باسم الإشارة، في هذا المقطع يستنبط د.عتر من اسم الإشارة ما يسترعي الانتباه والوقوف حول جمالية الابتداء به يقول مجليا الوجه الجمالي فيه:" لاستحضار المشاهد السابقة ولتفسير الأمر العقلي المجرد بالحس " حيث سبق ذكر قضية الدين والعلم به ،والتي هي أمور عقلية مجردة بصورة حسية لتفسير المعنى، فلما جاء في هذا المقطع اسفتح باسم الإشارة ليعيد إلى الأذهان مرة أخرى تلك الصورة الحسية لواقع الغيث وطبيعة الأرض القابلة له حتى تنطبع صورة تقريرية في النفوس فيكون بأقوى تأثير وأكثر تفهيم.

ثانيا : أسلوب المقابلة : وذلك بين الفقه والدين وعبارة لم يرفع بذلك رأسا مما يؤكد أن التدين علو وترفع والكفر تدنّ وهبوط.

المطلب الثالث :الجمال التصويري للنص والسمات البيانية له عند د.عتر.[38]

وهنا يُظهر د.عتر التركيبه اللفظية للحديث النبوي ،وكأنه لوحة فنية حافلة بالألوان والحركات، وذلك من خلال فكرة التجسيم القائمة على أسلوب التشبيه، والتي كانت بعبارة **(مثل ما بعثني الله به ...)** لينقل المعنى العقلي المجرد إلى عالم الحس حتى يحوز النص على جماليات رائعة في بنائه التركيبي حيث يقول :" إذ جاء التصوير في لوحة اكتنفت مشاهد متعددة حافلة بزمن وحركة وألوان" .

في هذا الأسلوب الرائع يُقسم لنا د.عتر المشهد الفني للحديث إلى ثلاثة أقسام

أولا : مشهد الزمن والألوان والمتمثل في منظر تقبل الماء وانتشار العشب وعموم الخيرات.

ثانيا: مشهد الحركة في حركة المياه وتخزنها ثم تحولها إلى مكان آخر.

ثالثا: مشهد الألوان والتنوع ،وذلك من خلال تنشيط الصورة بألوان الحياة في شرب الإنسان وسقي الحيوان والزراعة، وهو مشهد جماعي عريض التنوع في ألوانه.

يقول في ختام هذا المشهد: " كما جاءت المادة الفنية موضحة للمعنى موافقة إياه مما أدى إلى التأثير والإقناع ".

السمات البيانية العامة في الحديث :

يستنبط د.عتر في قراءته للحديث عدة سمات ذات أهمية أدبية ،مما يدل ما يحمله الحديث من سموّ في دلالته اللغوية، وعلو ونفاذ في البيان ذا قوة في التأثير، لتحويل أناس منحرفين عن انحرافهم إلى جادة الاستقامة والإخلاص.

فمن أهم السّمات التي استخلصها هي:

1- غلبة الجُمل الفعلية الموائمة للفاعل البشري مع الإسلام، كما يغلب على الفعلية الزمن الماضي المشير إلى حتمية التحقيق ،ويتمثل ذلك في قوله: (بعثني ...أصاب ....قبلت ....أنبتت ...أمسكت ...فنفع ...فشربوا وسقوا وزرعوا...فقه ...فعلم ....فعلّم).
2- البناء من النوع المغلق الدائري ؛لأنه ينتهي بالمعنى الذي بدأ به فقوله :" مثل ما بعثني الله به " فاتحة النص ثم ختمه بـ " هدى الله الذي أرسلت به " أي جاء النص محققا وحدته العضوية من البداية إلى النهاية ومحققا ترابط الجزئيات خلالها في غاية الإحكام

[38] – ينظر : في ظلال الحديث النبوي ص:26- 29

3- تراوح الجمل بين الطول والقصر والغلب القصر بل كانت في بعض المقاطع كلمة واحدة مثل :"فشربوا ،فسقوا " ؛ لإفادة توزيع الفكرة وتقسيمها .

الخاتمة

أهم النتائج :

1- إن الحديث النبوي موسومة نصوصه بالطّابع الإعجازي كما في القرآن، وبذلك فقد أثرى اللغة العربية بمحيط أدبي عديد الأصناف من تمثيلات بارعة، وحكم عالية،
وأمثال رائعة، ووصايا نافعة يجاري بها كل التطورات الأدبية المعاصرة.

2- عُرِّف الأدب بأنه : "التعبير عن تجربة شعورية في صورة مُوحية ،أما النص النبوي أبلغ من كونه تجربة شعورية بل هو يفوق ذلك في مغزاه وتعبير صوره التي ليست صادقة فقط بل معجزة ومبهرة وملهمة للمشاعر بالحائق الكاملة ، حيث تحمل عناصر الإبداع فيه لكل فكر يلامس كلماته المشرقة بالدلالات الأدبية التي لا حصر لها.

3- إن د .عتر أوقفنا على مستودع عظيم لأسرار البنية اللغوية والبيانية لهذا البيان الفذ في بيان البشر الذي أجراه الله على لسان نبيهρ، ويرى د. عتر بأن دراستها تساعد على اكتشاف طرق التجديد ،ومتابعة سبيل النهوض اللغوي والبياني في لغتنا العربية وأدبنا العربي.

4- من خلال المحتوى الفكري لكلمة (الغيث) في الحديث حقق د .عتر تعبيرًا تأويليًا رائعاً يصور به في مخيلة القارئ مشهد الغيث النازل لنجدة أرض قاحلة التي أتت عليها سنون عجاف، إلى كم كانت الإنسانية في تلك الفترة تعاني من شدة وحاجة ماسة إلى القيم التي تنقذ قحط النفوس وعجافها من خلال مراحل هامة الآتية:

ا- المرحلة الأولى: يصف فيه الحال التي كانت عليه الإنسانية من ظلم وجور وظلمات داجية بتصوير تاريخي لأكبر أمم ذلك الزمان عِدّة وعُدّة و العرب من بينهم في واقع منحط.

ب – المرحلة الثانية :يصور لنا بعد نزول هذا الغيث النتائج الإيجابية بعد انحطاط العرب حيث جعلت دعوة محمد ρوصيرت العربي الأمي رائدًا يحمل مشعل النور للبشرية يقف بقوة الإيمان وعزته أمام أعظم

قيادات الأرض يلقنهم مبادئ الحق والعدل كمثال رِبْعي بن عامر عندما وقف أمام القائد الفارسي الضخم رستم.

ج – المرحلة الثالثة : الاسقاطات المعاصرة حول مفهوم الغيث حيث يرى بأن الزمان دار دورته المعاصرة بين الأمم والشعوب، فعادت كهيأتها الأولى من القحط الفكري، والظلم الاستبدادي، والفقر الأخلاقي، حيث ضاعت الشعوب بين متاهات المادية والانحلال السلوكي، فيقول معنونا :" واليوم يعيد التاريخ نفسه ".

5- أبرز أهم العناصر الأساسية للبنية الجمالية في الحديث وهي: التكثيف الذي يتبعه التفصيل، ومسلك تقديم الأهم ،ومسلك الإشباع،و مسلك التصعيد والتدرج،والطابع الموسيقي للنص النبوي.

6- أظهر د.عتر التركيبه اللفظية للحديث النبوي من خلال الجمال التصويري للنص والسمات البيانية له ،وكأنه لوحة فنية حافلة بالألوان والحركات والزمان .

7- استنبط في قراءته للحديث عدة سمات ذات أهمية أدبية وهي: غلبة الجمل الفعلية للزمن الماضي المشير إلى حتمية التحقيق، والبناء من النوع المغلق الدائري لأنه ينتهي بالمعنى الذي بدأ به في قوله :" مثل ما بعثني الله به " فاتحة النص ثم ختمه بـ " هدى الله الذي أرسلت به " ، وتراوح الجمل بين الطول والقصر لإفادة توزيع الفكرة وتقسيمها.

فهرست المصادر والمراجع:

1- أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللّغة، حقّقه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، مصر، 1967 م.

2- أحمد بن فارس بن زكريّا أبو الحسن، معجم مقاييس اللغة، حقّقه عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، سوريا، 1979 م.

3- أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ،المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, (د.ط.ت)

4- الجاحظ، البيان والتبيين: تحقيق فوزي عطوي. بيروت: دار صعب.

5- الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف: التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة _ مصر، د.ط، د.س.

6- د.عتر في ظلال الحديث النبوي، منشورات جامعة دمشق،ط 2، 2000م.

7- رابطة العلماء السوريين https://islamsyria.com/site/show_cvs/1389 ، قد عرفت د نور الدين عتر عن قرب لأنه كان أستاذي في قسم الحديث وعلوم السنة بدمشق في مرحلة الماجستير وبالتالي كثير من مراحل الترجمة قد نقلتها عنه مشافهة.

8- الرويلي ميجان و البازعي سعد: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–بيروت، ط3 ،2002،

9- سنن الدارمي, عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي, دار الكتاب العربي, بيروت, تحقيق : فواز أحمد

10- سيد قطب, النقد الأدبي أصوله ومناهجه, ط 8 : 2003 م, دار الشروق, القاهرة.

11- سيف الدين و أحمد عصام ،شرح ديوان طرفة بن العبد, (د.ط): 1989 م, دار مكتبة الحياة, بيروت.

12- عبد الباسط بدر, نظرية الأدب الإسلامي, ط :1405،1 دار المنارة, جدة.

13- محمد بن إسـماعيل البخاري ،الصـحيح الجامع ، المحقق : محمد زهير بن ناصـر الناصـر : دار طوق النجاة ،ط :1، 1422هـ .

14- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، لسان العرب/ المعرفة بيروت لبنان.

15- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (لبنان).

16 مسلم بن الحجاج ،صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.